2000 ww ww - 0016a - 2

وجعٌ على السلام الملتبس

أن تأتي المطالبة بإعلان يوم " ١٣ نيسان " من كل عام يوماً وطنياً للذاكرة من قبل " لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين " ، أمر يستدعي التوقف عنده .

أرى الضحايا يفلّشون في كومات الوجع المنتشر كالمرض الخبيث ، يلتهم خلايا أجسادهم ، يزيحون بطلوع الروح ، جزءاً من الضغط الرابض فوق صدورهم ، يتمسكون بذاكرة الناس ، يتلمسون بكثير من الصدق والعفوية ، دواءً علّه يساهم في شفاء المجتمع من داء الحرب ..

أرى أصدقاء الضحايا في حملة " من حقنا أن نعرف " قد أدركوا المعنى الحقيقي لمطلب اللجنة ، حملوه بامتياز وترجموه إلى فعل حركة وإيمان ، إلى صوت يصدح " تنذكر تما تنعاد " .

أرى جموع الناس التي جاءت من كل الأوساط ملبية نداء اللجنة والحملة،للتجمع يوم ١٣ نيسان في ساحة الشهداء ، قد أتت تقترع للسلام الحقيقي ، عسى أن يبقوا في مأمن يحول دون تحولهم إلى ضحايا جدد .

أرى وجوه بعض الساسة – ومنهم من يتبوأ مراكز رسمية وفاعلة – وقدازدحموا على شاشات التلفزة ، وملأوا مساحات الهواء ، والساحات ، واستنفدوا حبر الجرائد ، قد دخلوا في مباراة للإدلاء بخطب رنانة ، تَرجُمُ الحرب وآثارها ، تجهّل أسبابها وأبطالها ، تتنصل من أي مسؤولية عنها ، تتغافل عن ذكر ما ينبغي القيام به لمنع تكرارها ، وتلتف على الموضوع لتراشق بحماس العدو الإسرائيلي ، لتودع الناس بابتسامة فارغة سوى من دعوة بلهاء إلى الاقتراع لوسامتهم يوم الانتخابات الآتي على الأبواب .

أتطلع في وجوه بعض مجرمي الحرب ، وقد غسلوا أيديهم من عبق الدماء التي أراقوها ، وتطهروا بقانون عفو برّأهم من العقاب ، أعفاهم من السؤال عن ضحاياهم، وكافأهم بالألقاب والمناصب . أراهم وقد غيّروا هندامهم ، استبدلوا لباس الكاكي بياقة منشاة وربطة عنق Signée . وفي حفلة تكاذب غبية ، تنافسوا على تحليل ظروف الحرب ، وزعوا مسؤولية اندلاعها على الدولة أحياناً ، وعلى الفلسطينيين أكثر الأحيان ، وعلى إسرائيل دائماً .. إلا هم .

أما من أقرّوا بمسؤولية ما في الحرب ، فمنهم من ساق من التبريرات ، ما تشعر معه أنك مطالب برفع الظلم اللاحق بهم . ومنهم من أكد على أحقيته في القتال لأن الوطن كان مهدداً آنذاك ، ولا يحميه إلا سلاحهم هم . ومنهم من تجرأ على الاعتذار عما اقترفته يداه ، واكتفى بطلب الغفران .. اغفر لهم يا أبتاه .

2000 xxxx-0016-c

صحيحٌ أن الاعتراف ولو جاء متأخراً أفضل من ألا يأتي أبداً ، لكنه يبقى منقوصاً إذا لم يقترن بقول الحقيقة ، وبالدرجة الأولى إلى الضحايا وإلى ذويهم . أما إعلان التوبة والاعتذار ، فهما غاية في التحضر والأخلاق ، لكن اكتمالهما يتطلب تجاوز القول إلى الفعل. فمزيداً من الشجاعة أيها التائبون المعتذرون .. على أمل أن تكونوا فاتحة للمعنيين الآخرين لتصويب الوجهة نحو السلام الحقيقي .

مزيداً من الصبر يا ضحايا .. يا حراس الذاكرة ، على أمل أن لا تبقى ذاكرة الحرب رهناً فقط بمعاناتكم ، ولتكونوا من المساهمين بزرع مدماك للسلام .

مزيداً من القوة يا أصدقاء الضحايا ويا طلاب الحق بالمعرفة .. على أمل أن تشكلوا حاجزاً يحول دون إمكانية حرب جديدة .

مزيداً من وضوح الرؤيا ومراجعة الذات من أطراف الحرب ، على أمل امتلاك ثقافة ومعرفة " كيف نختلف " ..

مزيداً من المسؤولية يا دولة ، كي نحصل على سلام غير ملتبس ، على أمل أن لا يبقى الوطن حلماً ! ..

وداد مراد حلواني

نشرت في مجلة حوار